﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ١٦﴾

[الشورى: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

ثَـبـاتُ حُـجَّـةِ أهـلِ الإيـمـانِ ودُحـوضُ حُجَّةِ أهلِ الكُفرِ

لَمّا قال اللهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى: 15]، وكانَ التَّقدير: فالذينَ رَجَعوا إليهِ اختيارًا في الدُّنيا بعدَ هذا التَّوضيحِ والبَيان، وتَركوا الجِدال؛ فإنَّ حُجَّتَهُم ثابِتَةٌ، ولَهُم الرِّضا والنَّعيم المُقيم؛ عَطَفَ عليهِ ما يقابلُ ذلكَ، فَقال سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُحَآجُّونَ﴾: (حجج) تَدورُ كثيرٌ مِن تَصْريفاتِه على مَعْنى القَصْد[2]، وقد يكونُ اشتِقاقُها مِن أصلِ القَصْد؛ وذلكَ لأنَّها تُقصَد، أو يُقصَد بها الحقُّ المطلوبُ[3]، والحُجَّةُ: الدَّلالَةُ المُبيِّنَةُ للمَقْصد المُستقيم[4]، ومعنى المادَّة يدورُ حولَ تجوُّفٍ كَهْفيٍّ صُلبٍ أو مَتينٍ يَحْمي ضعيفًا في داخلِه، ومنه: حِجاج العَيْن؛ لكونِه يَحْمي مُقلَة العَين بكلِّ ما حَوْلَها، ومنه حَجُّ البيتِ، وهو قصدُهُ؛ لأنَّ الحاجَّ يزورُ البَيْتَ، ويدخُلُ حَوْزَتَه وحَرَمَه، ومِن هذا الأصلِ: الحُجَّة، وهي: البُرْهان، كأنَّها ظَرْفٌ قويٌّ صُلب للرَّأي يَحْفَظُهُ، ويَدْعَمُه[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 277.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حج).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حج).
(4) الرّاغب، المفردات الكريم: (حج).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حجج).

والمُحاجَّة: المُجادلَة، بأن يأتيَ كلُّ واحدٍ مِنَ المُتقابلَيْنِ بحُجَّته، وهي مُفاعلَةٌ ومُشاركَةٌ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِن الخَصمَين يريد ردَّ صاحبِه والانتصارَ عليهِ في حجَّته[1].

ومعنى قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يُخاصِمون في دينِه[2]، وذلك بإدخالِهم الشَّكَّ على النّاسِ في صِحَّة دينِ الإسلام[3].

2) ﴿دَاحِضَةٌ﴾: (دحض) تدلُّ تصريفاتُه على زلَقٍ وزَوال، يُقال: دحَضَتْ رِجْلُه؛ إذا زَلِقَت، ومنه قولُهم: دَحَضَت الشَّمْسُ، أي: زالَت، وحُجَّة داحِضَةٌ، أي: غيرُ ثابتةٍ، ومنه قول الله سُبْحانَهُ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[4].

3) ﴿غَضَبٌ﴾: (غضب) تدور اشتقاقاتُه على معنى الشِّدَّة والقوَّة، ومِنْهُ تسميةُ العربِ الصَّخرةَ الصُّلبةَ بالغَضْبَةِ[5]، ومِنْهُ الغضَبُ، وقال الرّاغب: إنَّهُ ثورانُ دمِ القلبِ لإرادة الانتقام[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بَـيـانُ حـالِ المُـجـادِلـينَ في دينِ اللهِ تَعالى بِالباطِلِ

يُبَيِّنُ اللّهُ تعالى في كتابِه العزيز حالَ الَّذين يُجادِلون في دينِه الَّذي أرْسَلَ به مُحَمَّدًا ﷺ، بعدَما استجابَ النّاس له، وأسْلَموا، فيَذْكُرُ أنَّ حُجَّتَهُم ومُجادَلَتَهُم باطِلَةٌ وزائِلَةٌ، وعلَيْهِم غضَبٌ مِنَ اللّهِ سُبحانَهُ في الدُّنيا، ولَهُم في الآخِرَةِ عذابٌ شَديدٌ، وهو النّارُ[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالَةُ الواوِ في ﴿وَٱلَّذِينَ﴾:

الانـتـقـالُ مِـنَ الـحِـجـاجِ مَـعَ أهْلِ الكِتابِ إلى الحِجاجِ مَعَ أهلِ الشِّرْكِ

الواوُ في ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مِن قولِ الله تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (حج).
(2) المراغي، تفسير المراغي: 25/ 30.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 65.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دحض).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غضب).
(6) الرّاغب، المفردات: (غضب).
(7) نخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 485.

مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جُمْلَةِ: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: 15]، وذلك يدلُّ على تحويلِ مَجْرى الكلام، فبَعْدَ أن نوَّعَ الحِجاجُ مع أهلِ الكِتاب، واستوفى حَظَّهم في شأنِ الجِدال مَعَهُم؛ عادَ الكلام إلى المُشْرِكين في هذا الشَّأن أيضًا، فقال سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾[1].

سِرُّ تَغَيُّرِ الأُسْلوبِ في الآيَةِ عَن نَسَقِ ما قَبْلَها:

بَيانُ المَقْصودِ بِالمُحاجّينَ في اللهِ تَعالى

تغيَّر الأسلوبُ في الآيةِ الكريمةِ بالإتيانِ بالاسمِ الظّاهرِ المَوصول وصِلَتِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالة على الانتقالِ من غرضٍ إلى آخرَ مع مُراعاةِ مُناسبَةِ ما أُلْحِقَ به بعدُ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾، وقولِه سُبْحانَه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾، فأفادَ أنَّ المَقصودَ بالَّذين يُحاجّون في اللهِ هُم المُشْركون؛ لأنَّهم المُنازِعون في وحدانيَّة اللّه تعالى دون أهلِ الكتاب[2].

سِرُّ التَّعْبيرِ بالاسمِ المَوصولِ وصِلَتِهِ:

اشتِهارُ المُشْرِكينَ بِالجِدالِ الباطِلِ

جاء التَّعبير بالاسمِ المَوصولِ وصِلَتِه في قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾؛ لذمِّهم والنَّعي عليهم بما تضمَّنته جملة صلة الموصول، وليُفيدَ اشتِهارَهُم بالجِدال؛ إذ مِن شَأنِ الاسمِ المَوصول أن يُستعمل فيما يتَّصف به المتحدَّثُ عَنْهُ بصفةٍ معروفةٍ مشهورة، فكانَ التَّعبير بِهِ هُنا مُبْرِزًا أنَّ الجدال سِمَة لازمة لهم يُعرفون بها.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالمُحاجَّةِ:

تَصْويرُ حالِ المُبْطِلينَ والمُشْرِكينَ في ادِّعائِهِمُ الحُجَّةَ

جاء التَّعبيرُ بِالمحاجَّة في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾؛ لِتَصْوير حالِ المُبْطِلين المُتظاهِرين بالاستِنادِ إلى الحُجَجِ بعدَ ظُهور الحقِّ، إلّا أنَّها شُبَهٌ زائفَةٌ باطلةٌ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 65.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 65.

وذلكَ بِخِلاف لفظِ الجِدالِ الذي يكون في الحقِّ وفي الباطِلِ، وكذا لفظ الخِصام المُشْعِر بِضَرْبٍ من ضروبِ النِّزاع والانفِعالِ، فكان من دقَّة البيانِ القرآنيِّ أن استعملَ لفظَ المحاجَّة؛ للدَّلالةِ على أنَّ هؤلاءِ المشركين يوهِمون غيرَهُم بأنَّهم في مقامِ الاستِدلالِ؛ مبالغة في التَّلبيسِ.

دلالَةُ التَّعبيرِ بِالفِعلِ المُضارِعِ ﴿يُحَآجُّونَ﴾:

اسـتِـمْـرارُ المُـشْـرِكـينَ في الجِدالِ بِالباطِلِ

عُبِّر عن المحاجَّة بصيغةِ المُضارع في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾؛ للدَّلالَةِ على استمرارِهم وتَجَدُّدهم في المحاجَّة[1]؛ إذ يُظهر الفعلُ المُضارع أنَّ هؤلاءِ لا يَزالون في كلِّ وقتٍ وحينٍ يُحاجّون، ويجادلونَ في دينِ اللّه سُبْحانَه، حتّى بعد أن ظهَرَ فسادُ حُجَجِهِم، وكذلك أفاد التَّعبير بالفعل المضارع استحضار صورتهم القبيحة، وهم يقومون بهذه المحاجَّة.

دلالَةُ الإدغامِ في ﴿يُحَآجُّونَ﴾:

تَصويرُ الخَفاءِ في التَّشْكيكِ

وَرَد فعلُ المُحاجَّة ﴿يُحَآجُّونَ﴾ مُدْغَمًا في قول اللّه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ دون أن يَرِدَ مُظْهَرًا (يُحاجِجونَ)؛ للإيماء إلى تَصويرِ الخفاء والمواربَةِ في تَشْكيكِهم، كأنَّهم يُلْقونَ شُبَهَهُم على وجهِ السِّرِّ والخفاء، فتَنْتَشِر في القلوبِ، وتَضْعُفُ[2]، فكما أنَّ في الإدغامِ خفاءَ حَرْفٍ ودخولَهُ في آخرَ؛ فكذَلِكَ كانَ مدلولُ الكَلِمَةِ المُشْتملة على حرفٍ مُدْغَمٍ مفيدًا معنى الخفاءِ والاستتارِ، فضلًا عن أنَّ هذا الإدغام ترتَّب عليه هذا المدُّ اللّازم المثقل في الكلمة، ممّا أطال الوقوف عليها بما يدلِّل على طول محاججتهم.

سِرُّ حَذْفِ مَفْعولِ ﴿يُحَآجُّونَ﴾:

مُـحـاجَّـةُ أهـلِ الـشِّـركِ لِأهـلِ الإيمانِ

الفعلُ ﴿يُحَآجُّونَ﴾ مِن قول اللّه ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 277.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 277.

يتعدّى إلى مفعولٍ به، وقد حُذِفَ لدلالة قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ عليه؛ إذِ المَقْصودُ: أنَّ المُشْركين يحاجّون أهلَ الإيمانِ، أو يحاجّون المُسْتَجيبين لله تَعالى[1].

بَلاغَةُ الحَذْفِ في قَوْلِهِ: ﴿فِي ٱللَّهِ﴾:

في قول الله سُبْحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ حذْفٌ للمُضاف وإقامة للمضاف إليه مقامه؛ إذِ التَّقديرُ: يُحاجّون في دينِ الله سُبْحانَه[2]، وهَذا الحذفُ يوسِّع الدَّلالة؛ ليَشْمَل كُلَّ ما يتعلَّق باللهِ سُبْحانَه، سواءٌ تعلَّق بدينِه أم بأسمائِه وصِفاتِه، ممّا يُظْهِر أنَّ محاجَّتَهُم ليسَ لها حدٌّ، بل تَشْمَلُ كُلَّ ما يتَّصل به سُبْحانَهُ، كما يُثير الحذفُ التَّشويقَ، ويدفعُ للتَّأمُّل، ويُنبِّه على عِظَم الجُرم الَّذي اقتَرفوه؛ إذ إنَّ محاجَّتهم في أمرٍ يتعلَّق بالله ﷻ أصالَةً، ممّا يُظهر خُطورَةَ عَمَلِهم وعِظَمَ ذَنْبِهم.

عِظَمُ جُرْمِ المُحاجّينَ بِالباطِلِ وخُطورَةُ ذَنْبِهِم

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالاسمِ الأحْسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾ دونَ اسمِ اللهِ تَعالى (الرَّبِّ):

اختير التَّعبيرُ بالاسم الأحسنِ ﴿ٱللَّهِ﴾ في قولِه سُبْحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ دون اسمِه تَعالى (الرَّبِّ)؛ لكونِ الاسمِ الأحسَنِ (الله) فيه تربيةٌ للمهابةِ، وهو أنسبُ لسياقِ الآيةِ؛ إذ كان الكلامُ عَن قَضايا الإيمانِ والتَّوحيد الَّذي وقَعَ فيها جِدالُ المُشْركين، واسمهُ تَعالى (الله) أشملُ وأجمعُ لِلمعاني؛ لدِلالَتِه عَلى صِفات الجلالِ والجمالِ والكَمال، بخِلاف اسمِهِ تَعالى (الرَّبِّ)، فإنَّه أشدُّ تعلُّقًا بأفعالِه مِنَ الخلقِ والتَّدبير ونحوِهما.

التَّأْكيدُ عَلى عَظَمَةِ اللهِ ﷻ أبْلَغُ في الرَّدِّ عَلى المُبْطِلينَ

كما أنَّ التَّعبير بالاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾ أنسبُ في الرَّدِّ على المُجادِلين؛ لأنَّ فيه تأكيدًا لوَحْدانيَّة الله سُبْحانَهُ وعظمتِه، فيكون ذلك أبلغَ في الرَّدِّ عليهم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 66.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 28.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِجُمْلَةِ: ﴿مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ بَعْدَ المُحاجَّةِ:

الجدالُ بَعْدَ ظُهورِ الحَقِّ دَليلُ العِنادِ والانحِرافِ

جاء قولُ اللّه تَعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ بعد المحاجَّة في قولِه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ مُحاجَّتَهُم جاءت بعدَ بيانِ الحقِّ ووُضوحِه وقبولِ أهلِ الإيمانِ لَهُ، فيكونُ ذلكَ أدخَلَ في الزَّجْرِ وأبلغَ في التَّوبيخ؛ إذِ المُحاجَّة بعد قيامِ الأدلَّة والبراهينِ عَلى خلافِ ذلكَ ممّا يدُلُّ على عِناد المُحاجِجِ وبُلوغِه غايةَ الانحرافِ في ردِّ الحقِّ والتَّمسُّكِ بالباطلِ.

دِلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ ﴿مِنۢ﴾:

ذَمُّ الجِدالِ بَعدَ قيامِ الحُجَّةِ

حرفُ الجرِّ ﴿مِنۢ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ لابتداء الغاية الزمانية؛ وقد أفاد: تأكيدَ المَعْنى وتقويتَه، كذلك يُفيد ذمَّهُم على هذا الجدالِ، ولَو قَلَّ زَمَنُهُ وقَصُر[1]، فكيف وقد طالَ ذلكَ مِنْهُم، وكثُرَ، كما دلَّ عليه الفعلُ المُضارع ﴿يُحَآجُّونَ﴾؟ فإنَّ الذَّمَّ أشدُّ وأعظمُ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالظَّرْفِيَّةِ ﴿بَعۡدِ﴾:

عِظَمُ عِنادِ المُشْرِكينَ

عُبِّر بالظَّرف ﴿بَعۡدِ﴾ مِن قول اللّه تَعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾؛ للإشارة إلى التَّرتيبِ الزَّمنيِّ؛ إذ إنَّ ذلك يؤَكِّد أنَّ المُحاجَّةَ في دين اللّه سُبْحانَه وقعَت بعد وُضوحِ الحَقِّ وقَبولِ أهل الحقِّ له لا قبلَ ذلك، وهذا يَقْتَضي أنَّهم جادلوا، وحاجّوا بعد وُضوح الحقِّ وظُهورِه، فلم يَبْقَ بعدَ ذلكَ إلّا العنادُ.

دِلالَةُ ﴿مَا﴾ في ﴿مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾:

تَأْكيدُ المَعْنى وتَقْويتُهُ

﴿مَا﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِمَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ مصدريَّة تُؤَوَّلُ مع ما بعدها بِمَصْدَرٍ مضافٍ إلى الظَّرف[2]، والتَّقدير: مِن بعد استِجابَتِهم له، وفي العدولِ عن المَصْدَرِ الصَّريح إلى المؤوَّل تأكيدٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 278.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 24.

للمَعْنى وتقويَةٌ له؛ إذ إنَّ المَصْدَرَ الصَّريح يكون مجرَّدًا عن الزَّمن، وأمّا المؤوَّل؛ فبحسَبِ ما صيغَ به، وقد صيغَ هُنا بـ ﴿مَا﴾ والفعلِ الماضي؛ ليُفيد تحقُّق الاستجابةِ وثبوتَها.

دلالَةُ بِناءِ الفِعْلِ ﴿ٱسْتُجِيبَ﴾ لِلمَفْعولِ:

تَـعَـدُّدُ صـوَرِ الاستِجابَةِ

بُني الفعلُ ﴿ٱسْتُجِيبَ﴾ مِن قول الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِمَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ إيجازًا واخْتِصارًا؛ للعلم بالفاعل من جهة، ولدعوتهم للانشغال بالفعل نفسه دون النَّظر إلى فاعله من جهة أخرى، والتَّقديرُ: مِن بَعدِ ما استَجاب النّاس لله سُبحانَهُ أو لدينِهِ، ودَخَلوا فيهِ، وأذعَنوا له؛ لوُضوح الأدلَّة وظُهور السَّبيل[1].

ويَحتَمِلُ أن يكونَ التَّقدير: مِن بعد ما استجابَ اللّهُ ﷻ لرَسولِهِ ﷺ ودينِه بِظُهور صحَّةِ دين الإسلام[2]، ولكنَّ الحمل على هذا المعنى من شأنه أن يفكِّك الضَّمائر.

ويجوز أن يكون الفعلُ بُنيَ للمفعول؛ ليَشْمَلَ جميعَ معاني الاستجابةِ بأوجز صياغةٍ وأعمَقِها، فيكونَ المرادُ استجابةَ الله تعالى لنبيِّه بإظهار المُعْجِزات[3]، واستجابةَ المؤمنين لدين اللّهِ تَعالى بالدُّخول فيه والانقياد له بعدَ ظُهور الحجَّة.

دلالَةُ اللّامِ في ﴿لَهُۥ﴾:

بَـيـانُ عِـظَـمِ المُسْتَجابِ لَهُ

دلالَةُ اللّام في ﴿لَهُۥ﴾ من قول الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِمَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ تدلُّ على الاختِصاص، فتكونُ الاستجابَةُ خاصَّةً موجَّهةً لله سُبحانَه أو لرَسولِه ﷺ، ممّا يُظهِر شرفَ المَقام وعِظَم المُستَجابِ لَهُ.

بَيانُ مَرْجِعِ الضَّميرِ في ﴿لَهُۥ﴾، ودِلالَةُ التَّعْبيرِ به دونَ الاسمِ الظّاهِرِ:

سَـعَـةُ دلالاتِ النَّصِّ وغَناؤُها

الضَّميرُ في ﴿لَهُۥ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿مِنۢ بَعْدِمَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 26، والقنوجي، فتح البيان: 12/ 289، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 66.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 330.

(3) الماوردي، النكت والعيون: 8/ 308.

يعودُ إلى دين اللّهِ تَعالى، أي: إنَّ الاستجابةَ كانت لدينِ اللّهِ سُبحانَهُ بالدُّخول فيه والإذعانِ لَهُ[1].

ويجوز أن يكونَ الضَّمير راجعًا إلى الله تعالى، بإظْهارِ المُعْجِزاتِ الدّالَّة على صِدْقِه[2].

أو أنَّه يعود إلى النَّبيِّ ﷺ؛ على مَعْنى أنَّ المُسْتَجيبين كانوا أهلَ كِتابٍ، وقَد أقرّوا بنُبوَّتِه قبل مَبْعَثِه، ثمَّ لمّا بُعث ﷺ؛ جَحدوا ذلك، وحاجّوا فيه.

والجامِعُ لهذه الأقوالِ كُلِّها إبرازُ شناعة المحاجَّة بعد ظُهور البراهين، سواءٌ أكانَت في الحُجَّة على إثباتِ صحَّة دينِ الله تعالى أم نُصْرَتِه نبيَّه ﷺ أم صِدق نُبوَّته.

والتَّعبير بالضَّمير ﴿لَهُۥ﴾ دون الاسم الظّاهر يوسِّع دِلالات النَّصِّ ويُغْنيها؛ إذ أتاح للضَّمير أن يَحْمِلَ معانيَ متعدِّدةً، ولو صُرِّح بالاسم؛ لانْحَصَر المَعْنى، لكنَّ الضَّمير عدَّد الفُهوم الَّتي تَلْتَقي جميعًا عند إبرازِ عِناد المُحاجّين بعد ظُهور الحُجَّة عليهم، وهذا مِن بلاغة الإيجازِ في التَّعبير القرآنيِّ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالحُجَّةِ دونَ الشُّبْهَةِ:

ضَعْفُ مَوْقِفِ المُشْرِكينَ أمامَ قُوَّةِ بَراهينِ الحَقِّ

جاءَ التَّعبيرُ بالحُجَّة دون الشُّبْهَةِ في قولِه تَعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مجاراةً لِزَعْمِ المُحاجّين[3]، وذلك أبلَغُ في إبْرازِ سُقوطِها، وأدخَلُ في التَّهكُّم بحالِهم؛ إذْ إنَّه وصَفَها بالحُجَّة، ثُمَّ فَنَّدها بوَصْفِها بـ ﴿دَاحِضَةٌ﴾، أي: ساقطةٌ باطلَةٌ، وهذا أبلَغُ مِن وصْفِها أصالةً بـ (الشُّبْهَة)؛ إذِ التَّعْبير القرآنيُّ مزَجَ بينَ مُجاراتِهم والرَّدِّ القويِّ، مبرزًا ضعفَ موقفِهم وتَهَلْهُل ادِّعائهم أمامَ الحقِّ الواضحِ.

(1) القنوجي، فتح البيان: 12/ 289.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 26.

(3) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 250، أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 28، وإسماعيل حقي، روح البيان: 8/ 301.

دلالَةُ الإضافَةِ في قَوْلِهِ: ﴿حُجَّتُهُمْ﴾:

زَيْـفُ الـحُـجَـجِ وسُـخْـفُ عُـقولِ أصْحابِها

الإضافة في ﴿حُجَّتُهُمْ﴾ من قولِ الله ﷻ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فيها إيماءٌ إلى تَمَلُّكِهِمُ الحجَّة زَعْمًا وادِّعاء، وأنَّها مِن صُنْعِهم ومنسوبةٌ إلى عُقولهم، فيكون وصفُ القرآنِ لَها بعدُ بالدُّحوض وصفًا لها بالسُّقوط والبطلانِ، ووصفًا لعقولِهم الَّتي أنْتَجَتْها بالسُّخْفِ والضَّلالِ.

سِرُّ ذِكْرِ لَفْظِ الحُجَّةِ مَعَ تَقَدُّمِ الإيماءِ إلَيْها في ﴿يُحَآجُّونَ﴾:

التَّـأْكـيـدُ عَـلى بُطْلانِ حُجَجِهِم

أُعيد ذِكْرُ الحُجَّة مضافَةً إليهم بعدَ سَبقِ الإشارَةِ إلَيها في ﴿يُحَآجُّونَ﴾ من قولِ الله سُبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِمَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾؛ للتَّأكيد على بُطْلانِها وفَسادِها، فضلًا عن أنَّه في ذكرها قد تحقَّق جناسٌ صرفيٌّ بين اللَّفظتين ممّا أكسبها محسِّنًا لفظيًّا بديعيًّا جميلًا.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِـ﴿دَاحِضَةٌ﴾ دونَ (مُدْحَضَة):

بُـطْـلانُ حُـجَـجِ المُشْرِكينَ يُغْني عَن إبْطالِها

جاء التَّعبيرُ باسمِ الفاعلِ ﴿دَاحِضَةٌ﴾ في قولِ الله تَعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ دون اسمِ المَفعول: (مُدْحَضَةٌ)، فأطلق اسم الفاعل مع إرادته اسم المفعول تجوُّزًا؛ لبيانِ شدَّة فساد حُجَّتِهم وعِظَم بُطْلانِها، حتّى إنَّها تَسْقُط مِن نَفْسِها مِن غير احتياجٍ إلى مَن يُفْسِدُها، ويُبَيِّن زَيْفَها، فَبُطْلانُها يُغْني عَن إبْطالِها.

بَلاغَةُ الاستِعارَةِ في قَوْلِهِ: ﴿دَاحِضَةٌ﴾:

إخْـراجُ المَعْنَويِّ في صورَةِ الحِسّيِّ أرْسَخُ في الذِّهْنِ

في وصْفِ الحُجَّة بالدُّحوض في قولِ الله تَعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ استعارةٌ؛ إذ استُعير الدَّحْض للبُطلان، بجامع عدم الثَّبات في كلٍّ، على سبيلِ الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، فحُجَّتُهم لا ثباتَ لَها، ولا قوَّة لها أمامَ البُرْهانِ القاطع، كالشَّيء الَّذي يَزول عن موضعِه، وكالقَدم لا تَثْبُت في المَكان الزَّلِق[1]، وفي هذه الاستعارةِ

(1) القِنَّوجي، فتح البيان: 12/ 290، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 66.

تَصويرٌ بديعٌ للأمْرِ المَعْنَويِّ في صورةٍ حِسّية؛ ليكون ذلك أثبتَ في الذِّهن وأرسخ في القلبِ.

سِرُّ عَدَمِ ذِكْرِ وجْهِ الدَّحْضِ:

كَثْرَةُ الأدِلَّةِ القُرآنيَّةِ على بُطْلانِ الشِّرْكِ وعلى صِحَّةِ أُصولِ الدّيانَةِ

لَم يُبَيِّن النَّظم القرآنيُّ وجهَ الدَّحْض في قول الله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾؛ اكتفاءً بما بُيِّن في آياتِ القرآنِ الكَريم المُتكاثِرَة مِنَ الأدلَّة والحُجَج على بُطْلانِ الشِّرك، وعلى صِدقِ النَّبيِّ ﷺ وإمكانِ البَعْثِ بعدَ المَوت، وبما بانَ للعيان مِن ازدياد المُسلمين يومًا بعد يوم، واطمئْنانهم من أن يُعْتَدى عليهم[1].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِوَصْفِ الرُّبوبيَّةِ في ﴿رَبِّهِمْ﴾:

بُطْلانُ حُجَجِ المُشْرِكينَ مِن جَميعِ الوُجوهِ

عُبِّر بِوَصْفِ الرُّبوبيَّة في ﴿رَبِّهِمْ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في سياقِ بَيانِ بُطْلانِ حُجَّتِهم؛ لِبَيان أنَّ حُجَّتَهم باطلةٌ عندَ رَبِّهم مِن حيثُ هو رَؤوفٌ رحيمٌ مُحْسِنٌ، فأوْلى أن تَبْطُلَ مِن حيثُ كونُه سُبْحانَهُ قادِرًا قاهِرًا[2]، فالتَّعبير بلفظ الرُّبوبيَّة فيه نوعٌ من المؤانسة والملاطفة، وفيه نوعٌ من التَّأنيب لهم على المحاجَّة في دين ربِّهم وسيِّدهم ومصلحهم.

دلالَةُ الإضافَةِ في ﴿رَبِّهِمْ﴾:

حُلولُ الخِزْيِ عَلَيْهِم في الدُّنْيا والعَذابِ في الآخِرَةِ

أُضيف اسمُ الرَّبِّ إلى ضميرهم في قول الله ﷻ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّه سُبْحانَهُ أحسَنَ إليهم بإفاضَةِ العَقْلِ الَّذي جَعَلَهُم في أحسَنِ تَقْويم، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ أقلَّ عقوبَةٍ لَهُم هو قطعُ إحسانِه عَنْهُم، وأنَّه يُظْهِر بطلانَ ما سمّوه حجَّةً لكلِّ عاقلٍ، فيورِثُهُم ذلك خِزْيًا في الدُّنيا وعذابًا في الآخِرة[3]، ففي الإضافة تشريفٌ لهم، وفيها دعوة لترك المحاجَّة بالباطل.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 66.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 3.
(3) البقاعي، نظم الدرر، ص: 279 - 180.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالواوِ في ﴿وَعَلَيْهِمْ﴾:

فَسادُ حُجَجِهِم تَجْلِبُ عَلَيهِم غَضَبَ اللهِ تَعالى

الواوُ في ﴿وَعَلَيْهِمْ﴾ مِن قول اللهِ سُبْحانَه: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على الجملةِ قَبْلَها، وهي تفيدُ التَّرابُط بَينَ بُطلان الحجَّة وحلولِ الغضَبِ علَيهِم، وأنَّ الغضبَ مآلٌ مُحَتَّم لإصرارهم على الباطلِ بعدَ ظُهور الحجَّة واتِّضاح المَحَجَّة.

دلالَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ (عَلَيْهِمْ):

بَيانُ استِحقاقِهِمُ الغَضَبَ الإلَهيَّ

قُدِّم الجارُّ المَجرور (عَلَيْهِمْ) على ﴿غَضَبٌ﴾ من قول اللهِ سُبْحانَه: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾؛ لوُقوع المُبْتَدَأ نكرةً، ولا مُسَوِّغ لَها إلّا تأخيرُها، وذلك لا يَمْنَعُ من اشتمال التَّقديم على نُكْتَةٍ بلاغيَّة؛ لِما تقرَّر من أنَّ جَريان التَّركيب على الأصلِ لا يَمْنَعُ من تَضَمُّنه نكاتٍ بلاغيَّةً[1]، وفائدةُ التَّقديم هَهنا الاهتمامُ بِوُقوعِ الغضَب عليهم واستِحْقاقِهم لَه بِما يُلائم حالَ مَن خابَ مسعاهُ، وبطلَتْ حُجَّتُه[2]، وقد يكون التَّقديم لتعجيل ما يسوؤهم.

دلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ (عَلى):

ذُلُّهُم وهَوانُهُم أمامَ عَظَمَةِ اللهِ سُبْحانَهُ

حرفُ الجرِّ (على) يدلُّ في الأصلِ على الاستِعلاء، وهو في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ استعلاءٌ مجازيٌّ[3]؛ إذْ شُبِّه حلولُ الغضَبِ عليهم بِنُزولِ أمرٍ عظيمٍ جسيمٍ لا يُقدَرُ على ردِّه ودَفْعه، وفيه ذَمُّهم باستعلاءِ النِّقَم عليهم[4]، وفي ذلك أيضًا إبرازُ قَهْرِ اللهِ تعالى لَهُم، وأنَّهم في مقامِ الذُّلِّ والهوان أمامَ عظمةِ اللهِ تعالى وسُلْطانِه.

دلالَةُ التَّنْكيرِ في ﴿غَضَبٌ﴾:

شِدَّةُ غَضَبِ اللهِ سُبْحانَهُ عَلى أهْلِ الباطِلِ

نُكِّر لفظُ الغَضَبِ في قول اللهِ تعالى: ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾؛ للدَّلالة على التَّعظيم والتَّفخيم والتَّهويل، وذلك أبلغُ في التَّخويف، وأشدُّ في

(1) الشِّهابُ الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 229.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 66.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 66.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 279.

التَّرهيب، ففي التَّنكير إشارةٌ إلى غضَبٍ شديدٍ لا يُقادر قدرُهُ يناسِبُ حالَ المُحاجّين الَّذين كابَروا الحقَّ بعد ظُهوره، وجادَلوا بالباطِل[1].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجُمْلَةِ الاسميَّةِ: ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾:

حُلولُ غَضَبِ اللهِ تَعالى بِكُلِّ مُعانِدٍ ومُكابِرٍ

جاءَ التَّعبير بالجملة الاسميَّة: ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾؛ لإفادَةِ الثُّبوت والاستِمْرار، وأنَّ الغضَبَ قَدِ استقرَّ بِهِم، واستَوجَبوا حُلولَه، وأنَّ هذا حقيقةٌ ثابتَةٌ راسخة لا تتغيَّر، ولا تتبدَّل، فكان التَّعبير بالجملة الاسميَّة مفيدًا أنَّ وُقوع الغضَبِ قضاءٌ ثابت لكلِّ مَن عاند، وكابرَ، وجادل في دينِ الله تعالى بالباطِلِ.

سِرُّ عَدَمِ إضافَةِ الغَضَبِ إلى الاسْمِ الأَحْسَنِ (الله):

طَيُّ اللَّفْظِ الذي دَلَّ السِّياقُ عَلى تَعْيينِهِ

لَم يُضَف الغضبُ في قول الله تَعالى: ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾، إلى الاسمِ الأحسَنِ، فلَم يَرِد في النَّظم القرآنيِّ: (وعليهم غضَبُ الله)، وذلك لظُهور المُراد مِن قولِه تَعالى قبلُ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، فكان التَّقدير: وعَلَيْهِم غضَبٌ مِنْهُ؛ إذ لا يُتَصَوَّر في هذا المَقام غضبٌ سِوى غضَبِه سُبْحانه[2].

دلالَةُ الواوِ في ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾:

بَيانُ العاقِبَةِ السَّيِّئَةِ لِلمُجادِلينَ في دينِ اللهِ تَعالى بِالباطِلِ

الواوُ في ﴿وَلَهُمْ﴾ مِن قول الله ﷻ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جُمْلة: ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾؛ لِما بين الجُمْلتين من التَّوسُّط بين الكمالين، فإنَّ الجملتين اتَّحدتا في الخبريَّة، وبينَهُما مناسبَةٌ في المَعْنى، وهو بيانُ العاقبة السَّيِّئة للمُجادلين في دينِ الله سُبْحانه بالباطِلِ، وحسَّن الوصلَ اتِّحادُهما في الاسميَّة، وتقديمُ المُسْنَد وتنكيرُ المُسْنَدِ إليه في كِلَيْهما.

معنى اللّام ودِلالَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ (لَهُمْ):

بَيانُ استِحقاقِهِمُ العَذابَ

أفادت اللّام هنا معنى الاستحقاق؛ لأنَّهم استحقّوا هذا الجزاء،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 28، والقِنَّوجي، فتح البيان: 12/ 290، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/ 26.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 66.

وقُدِّم الجارُّ المَجرور (لَهُمْ) على ﴿عَذَابٌ﴾ مِن قول الله سُبْحانَه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ للاهتمامِ بِوُقوعِ العذابِ عليهِم واستِحْقاقِهم إيّاه، بِما يوافق حالَ مَن خابَ سعيُه، وانهارَت دَعواهُ[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِاللّامِ مَعَ العَذابِ:

عُبِّر بحَرْفِ الجرِّ (اللّام) معَ العذابِ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ دون (عَلى)، فلم يَرِد في النَّظم القرآنيِّ: وعليهم عذابٌ شديدٌ؛ للإيماء إلى استِحْقاقِهم العذابَ الشَّديد واختصاصِهم به، وفيه تهكُّم بهم؛ إذْ إنَّ اللّامَ في الأصل تدلُّ على المنفعة.

التَّهكُّمُ بِالمُشْرِكينَ عَذابٌ مَعْنَويٌّ يُضافُ إلى العَذابِ الحِسّيِّ

سِرُّ وصْفِ العَذابِ بِالشَّديدِ دونَ المُهينِ والأليمِ والعَظيمِ:

وَصْفُ العذابِ في القُرآنِ الكريمِ بِأوصافٍ كثيرَةٍ، مِنْها: كونُهُ مُهينًا، وأليمًا، وعظيمًا، وشديدًا.

دِقَّةُ البَيانِ القُرْآنيِّ في اختيارِ الألْفاظِ المُلائِمَةِ لِسياقاتِها

فيَرِدُ وصفُه بالمُهين في سياقِ جَزاءِ مَن يَتَكَبَّر على غَيْرِه، ويَستَعْظِمُ ما عِنْدَهُ، فيكونُ العَذابُ المُهين أنْسَبَ لَه؛ لِمَحْقِه مشاعِرَ الكِبْرِ والغُرور عِنْدَهُ، ولأنَّه مجازاةٌ لَهُ بِنَقيضِ قَصْدِه، ومِنهُ آيةُ لُقْمانَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان: 6]، فإنَّ الباعثَ عَلى الاستهزاءِ هو الكِبْرُ وغَمْطُ الشَّيءِ المُسْتَهْزَأ بِه.

ويوصَفُ العذابُ بِالأليم؛ إذا كانَ المعذَّب أو المتوعَّدُ بالعذابِ سبَّب بجُرمِه آلامًا كثيرةً لأهل الإيمان، واختيرَ لَهُ العَذاب الأليمُ؛ ليكونَ الجَزاءُ مِن جِنْسِ العَمل، ومنهُ آيةُ لُقْمانَ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان: 7]، فإنَّ المبلِّغ لآياتِ اللّه سُبْحانَهُ، إذا قوبِلَ بالإعراض والاستِكْبارِ؛ يكبُرُ ذلكَ في نفسِه، ويَجِدُ لذلكَ ألَمًا معنويًّا عظيمًا،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 66.

فناسبَ أن يُعاقَب المُتَسَبِّب في ذلكَ الألَم بالعذابِ الأليم، ولم يُذْكَر العَذابُ المُهينُ في آيةِ لُقمان المتقدِّمَة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [لقمان: 7]، مع أنَّه نُصَّ على الاستكبارِ؛ اكتفاءً بذِكْرِه في الآيةِ المتقدِّمَة، وليُجمَعَ لَهُ ألوانٌ مِنَ العذابِ.

وقَد يوصَفُ العذابُ بالعظيم، وذلكَ إذا عَظُمَ الجُرْمُ والذَّنْبُ؛ ليكونَ الجزاءُ مِن جِنْسِ العَمَلِ، ومِنهُ قول اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة: 6 - 7]، فقد وردَتْ هذهِ الآيَةُ في سياقِ الحَديثِ عَنِ الكُفّار الَّذينَ أعْرَضوا عنِ الحقِّ، واستَوى لَدَيهِم الإنذارُ وعَدَمُه، فلَمّا كانَ ذَلِكَ إعراضًا عظيمًا عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ فناسبَ أن يُتَوَعَّدوا بالعذابِ العَظيم.

وقد يوصَفُ العذابُ بالشَّديد؛ للإشارةِ إلى شِدَّة إيغالِهم في الجُرْمِ الَّذي رُتِّب عليهِ العَذاب، كما في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، فإنَّ الآيةَ في الَّذين يحاجّون في اللهِ مِن بعدِ ما استُجيب له، فلمّا كانَت محاجَّة هؤلاءِ شديدَةً ممّا استوجَب غضبَ اللهِ تعالى عليهِم؛ ناسَب ذلكَ أن يكونَ عذابُهم شديدًا، فقال سُبحانَه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[1].

دلالَةُ التَّنْكيرِ في قَوْلِهِ: ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾:

بَـيـانُ عَـظَـمَـةِ العَذابِ وهَوْلِهِ

نُكِّر لفظُ ﴿عَذَابٌ﴾ في قول الله تعالى: ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ للدَّلالة على التَّعظيم والتَّفخيم والتَّهويل، وهذا أبلغُ في التَّرهيبِ وأدخَلُ في التَّخويف، ففي التَّنكير إشارةٌ إلى عذابٍ شديدٍ لا يُقادر قدرُهُ، يناسِبُ حالَ المُحاجّين الَّذين كابَروا الحقَّ بعد ظُهوره، وجادَلوا بالباطِل، ووصْفُ العذابِ بالشَّديد مُنَكَّرًا زيادةٌ في التَّعظيم والتَّهويل.

(1) سعد عبد العظيم محمد، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 56.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

المُجادَلَةُ والمُحاجَّةُ والمُحاوَرَةُ:

في المُـجـادَلَـةِ استِـمْـرارٌ، وفي المُـحـاجَّـةِ إرادَةُ الـغَـلَـبَـةِ، وفي المُـحـاوَرَةِ هُـدوءٌ في المُراجَعَةِ

المُجادلَةُ في أصْلِ اللُّغَةِ تَدُلُّ على شدَّة الخُصومَة واستِمْرار مُراجعةِ الكَلام، بخِلاف المُحاجَّة فإنَّ مَعْناها: المُغالبَةُ بالحُجَّة والبُرْهان، وأمّا المُحاورَةُ؛ فَهيَ مُراجعَةُ الكَلام.

وقَد جاءَ ذِكْرُ المُجادَلَة في القُرآن الكريم كثيرًا، بَل إنَّ سورَةً من سوَرِه سُمّيت بالمُجادلَة، ومِن شَواهِدِ الجِدالِ الواردِ في القرآنِ قولُ اللهِ تَعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: 125].

وورَدَ النَّهْيُ عَنِ الجِدال إلّا بالَّتي هيَ أحسَنُ، كَما في قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت: 46]، والجِدالُ المَنْهيُّ عنهُ هو الَّذي يَجُرُّ إلى المُغاضبَةِ والمُشاتَمَة، وأمّا مُراجعَةُ الكلامِ بغَرَضِ الإقناع والوُصول إلى الحَقِّ؛ فهذا مَنْدوبٌ إليه.

وأمّا المُحاجَّة؛ فقد وردَتْ في القرآنِ الكريم ثلاثَ عَشْرَةَ مرَّة، منها في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: 76].

فالمُحاجَّة: مُحاولَةُ كُلِّ واحِدٍ أن يَغْلبَ خَصْمَهُ بِما يُقيمُهُ مِن بَراهينَ وحُجَجٍ، بقَصْدِ إقامَةِ الحَقِّ وبيانِه ونُصْرَتِه.

وأمّا المُحاوَرَةُ؛ فَقد ذُكِرَت في القرآنِ ثلاثَ مَرّات، منها في قولِ اللّه ﷻ: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف: 37].

وحقيقَتُها: مُراجعَةُ الكَلام، وهيَ تَخْلو مِن الشِّدَّةِ الَّتي في

المُجادَلَةِ، والحاصِلُ أنَّ المُجادَلَة والمُحاجَّة والمحاورَةَ تَجْتَمِعُ في مراجعَةِ الكلامِ، وتَنْفَرِدُ المُجادلَةُ بدِلالَتِها على الشِّدَّة والاستِمْرارِ، وأمّا المُحاجَّة؛ فَهيَ مُصاحبَةُ الكلامِ لِلحُجَجِ الَّتي يُراد بِها الغلبةُ عَلى الخَصْمِ، وأمّا المُحاورة؛ ففيها هدوءٌ في مراجعَةِ الكلامِ[1].

الحُجَّةُ والدَّليلُ والبُرْهانُ والسُّلْطانُ:

الحُجَّة: الدَّليل الَّذي يُستخدم في مواجهة الخَصم، ويكونُ به الظَّفر عند الخصومةِ، واستُعْمِلَت الحُجَّة في القرآن بِمَعنى الدَّليل المُبَيِّن للمَحَجَّة - أي: القصدِ المُستقيم - في مواجهةِ خَصْمٍ مُخالِفٍ معانِد، كما في قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: 149].

البُرْهانُ أخَصُّ مِنَ الدَّليلِ والحُجَّةِ، والحُجَّةُ أخَصُّ مِنَ الدَّليلِ، والدَّليلُ والسُّلْطانُ أعَمُّ مِنْهُما

والدَّليل: الهادي الذي يُهتدى به، وهو العلامة المبيِّنة لصِدْقِ الدَّعوى، واستُعمل في القرآن بمعنى العلامةِ الَّتي يُهْتَدى بها، كما في قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥﴾[2] [الفرقان: 45].

وأمّا البُرهان؛ فهو الحُجَّة الفاصلة البيِّنة، يقال: بَرهَن يُبَرهِنُ بَرهَنةً؛ إذا جاء بحُجَّةٍ قاطعة لِدفع الخَصم، فهو مُبَرهِنٌ، فيُبَرهن بمعنى يُبَيِّن، وقد بَرهَنَ عليه، أي: أقام الحجَّة[3]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١١﴾ [البقرة: 111]، وفي الحديث: «الصَّدقة بُرْهانٌ»[4]، أي: هي دَليلٌ على صحَّة إيمان صاحبها لطيب نَفسه بإخراجها، وذلك لعَلاقة ما بين النَّفس والمال.

أمّا السُّلطان عند العرب؛ فيُطلَق على الحُجَّة، ويُذكَّر ويُؤَنَّث، والسُّلطان: الحاكم، وإنَّما سُمّيَ سُلطانًا؛ لأنَّه حُجَّةُ الله تعالى في

(1) داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 178 - 181.
(2) داود، معجم الفروق، ص: 122 - 124.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (برهن).
(4) رواه مسلم في صحيحه: (برقم: 223).

أرضه، أو هكذا ينبغي أن يكون[1]، وقول الله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: 29] معناه: ذهبت عنّي حجَّتي[2]، فالسُّلطان أعمُّ.

والحاصلُ: أنَّ هذه الألفاظَ تَشْتَرِكُ في مَلْمَحِ الوُضوحِ والصِّدق، واختُلِف فيما بينَها، فالبُرْهانُ أخصُّ من الدَّليل والحُجَّة؛ لاختصاصه بالقَطْعِ واليَقين، والحُجَّةُ أخَصُّ من الدَّليل؛ لانحصارِها في مواجَهَة الخَصْم، والدَّليل والسُّلطان أعمُّ مِنْهُما، والظّاهر أنَّ السُّلطانَ أخصُّ من الدَّليل؛ لِما في المادَّة من إلْماحٍ إلى الإلجاءِ والإلزامِ.

الغَضَبُ والسَّخَطُ:

بَـيْنَ الـغَـضَـبِ والسَّخَطِ عُمومٌ وخُـصـوصٌ وجْهيٌّ

الفرقُ بينَهُما مِن وجهين[3]؛ **أحدهما**: أنَّ الغضَبَ يكون مِن الصَّغير على الكبير، ومِنَ الكبير على الصَّغير، بخلاف السُّخْط؛ فلا يكون إلّا مِنَ الكبير على الصَّغير، **والآخرُ**: أنَّ الغضبَ هو اشتدادُ السُّخْطِ، فهو أخصُّ.

وبهذا يتبيَّنُ أنَّ الغضبَ أعمُّ مِنَ السُّخْطِ من وجهٍ، وأخصُّ مِنْهُ مِن وجهٍ آخرَ.

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 217.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 630.
(3) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 130.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"